طرائق واساليب التبليغ الرسالي في القرآن الكريم

م.د. ساجدة محمد علي عبد الرحيم عبد المحمد

جامعة الأمين/ كلية الفقه

walmas199333@gmail.com

الملخص:

تأتي أهمية التبليغ وبالخصوص في وقتنا الحالي ؛ حيث تتعرض الامة الاسلامية لأعلام وتبليغ مضاد' يتناول القيم، والمبادئ والعقيدة الاسلامية، بالتشويه والتشكيك والاساءة وبنفس الدين وإثارة الشبهات حوله، من أنه دين قد انتهى زمانه ولم يعد يتكيف مع الواقع المعاصر، وغير ذلك، فكان لابد من مواجهة هذا الاعلام والتبليغ بأعلام وتبليغ اسلامي ملتزم، ينتهج طرق وأساليب متطورة يمكنها أن تواكب ماهو مطروح من وسائل إعلامية مضادة، من هنا جاء بحثنا، ليضع بين يدي المبلغ الرسالي مجموعة من الاساليب والطرق التبليغية التي يمكنه من خلالها أن يمارس حركته التبليغية، وارتأينا أن افضل الطرق والاساليب تلك التي جاء بها القرآن الكريم، فاتخذتها عنواناً للبحث، وقد سلكت المنهج الوصفي في البحث والتحليل، وانتهيت الى أنه لكي تكون مبلغاً رسالياً ناجحا ؛ لابد من رسم خطط وبرامج تبليغية دقيقة تنتهج فيها أساليب وطرق فنية متنوعة، يمكنها التأثير في شرائح المجتمع المتعددة، سواء كانت هذه الطرق والاساليب منطوقة، أو مسموعة، أو مكتوبة، ومنها القلم والشعر والحوار والقصة وضرب الامثال، وكل هذه الطرق أرشدنا اليها القرآن الكريم، وبأمكاننا استخدامها في العملية التبليغية.

الكلمات المفتاحية:(التبليغ، التبليغ الرسالي، الأسلوب، الطريق).

Methods and techniques of message communication in the Holy Quran

Dr. Sajida Muhammad Ali Abdul Rahim Abdul Muhammad

Al-Amin University / Faculty of Jurisprudence

walmas199333@gmail.com

Abstract:

The importance of preaching comes, especially in our current time; where the Islamic nation is exposed to media and counter-preaching that deal with Islamic values, principles and doctrine, by distorting, doubting and insulting the religion itself and raising suspicions about it, that it is a religion whose time has ended and no longer adapts to contemporary reality, and other things, so it was necessary to confront this media and preaching with

committed Islamic media and preaching, adopting advanced methods and approaches that can keep pace with what is presented by counter-media, hence our research came, to put in the hands of the preacher of the message a group of preaching methods and approaches through which he can practice his preaching movement, and we saw that the best methods and approaches are those that came in the Holy Quran, so I took it as the title of the research, and I followed the descriptive approach in the research and analysis, and I concluded that in order to be a successful preacher of the message; It is necessary to draw up precise plans and programs for preaching that adopt various artistic methods and approaches that can influence the various segments of society, whether these methods and approaches are spoken, heard, or written, including pen, poetry, dialogue, storytelling, and proverbs. All of these methods have been guided to us by the Holy Quran, and we can use them in the preaching process.

Keywords: (preaching, message preaching, style, path).

المقدمة:

إنَّ التبليغ الرسالي أمر واجب وضروري في حياتنا العملية، ولايخفى على ذوي البصائر ما للتبليغ والاعلام من أهمية في تحرير مسيرة الامم والمجتمعات وكذا الافراد وتوجيهها صوب الأهداف والغايات التي تحملها، وكلما كانت الوسيلة الأعلامية والتبليغية أقوى كان الوصول الى الأهداف أسرع.

اليوم نشاهد ما للأعلام من دور فاعل في تضليل الرأي العام وتغيير الحقائق ؛ الامر الذي يحتم علينا نحن الكتاب، مواجهة هذا التحدي بأعلام رسالي هادف لنقل وتحري الحقيقة ولزرع الوعي والبصيرة وإحداث التغيير لدى الرأي العام.

والقرآن الكريم لم يغفل عن هذا الجانب المهم دون أن يبين معالمه ويرسم حدوده، كيف وقد اختار الله لحمل هذه الرسالة وتبليغها أفضل خلقه محمداً (ص) معتبراً التبليغ والارشاد من أهم وظائفه، قال تعالى :" وما على الرسول إلا البلاغ المبين "(العنكبوت، ١٨) وبالتبليغ يتعلم الناس الحكمة والتربية والارشاد، وبه تتم الحجة على العباد.

وبما أن التبليغ بابه واسع وشامل ولايمكن حصره بمثل هذا البحث القصير؛ لذا أحببت أن اسلط الضوء على أهم باب منه هو معرفة أساليب وطرق التبليغ في القرآن الكريم. لقد استخدمت وسائل الأعلام حديثها وقديمها، سلاحاً فتاكاً بيد أعداء الدين، فقد اتخذ الأعلام بالامس سلاحاً في مواجهة الرسول (ص) حيث سعى أعداء الاسلام الى بث الدعايات المغرضة والمضللة من خلال تهمة السحر التي لفقت ضد النبي (ص) أو اتهامه بالجنون أو استعمال الشعر والشعراء

في تأليب المواقف ضده (ص) كما أن الأعلام اليوم يلعب دوراً خطيراً في العالم في تضليل الرأي وإخفاء الحقائق وقلبها، وكل من يفقد هذا السلاح عند المواجهة سوف يكون مصيره الفشل المحتوم، لذا كان يتحتم دراسة أساليب وطرق التبليغ المؤثرة في المجتمع من أجل مواجهة الاساليب الخادعة المطروحة على الساحة حالياً، وعند دراسة الاساليب التبليغية المتبعة حالياً لدى كثير من خطبائنا ومبلغينا، نجدها لم تكن بمستوى المواجهة مع ما يقدم من إعلام غربي مناهض، وفي هذه الحالة لابد من إعادة النظر في كل ما يقدم من وسائل تبليغية على وجه يعيد للفكر الاسلامي حيويته وقوته دون تنازل عن اسسه ودعائمه، وخير طريق لذلك هو استقراء الوسائل والأساليب القرآنية في التبليغ، مع تطوير لهذه الاساليب بالشكل الذي يتناسب مع متطلبات العصر دون أن تخرج تلك الاساليب عن محورها وهدفها، كأدخال عنصر القصة الهادفة سواء كانت القصة الادبية أو السينمائية – الفلم – او الحوارية وإدخال عنصر الكتابة والقلم أو عنصر الشعر وما شاكل، وهذه عناصر استخدمها القرآن الكريم أداة للتبليغ الرسالي، وقد عنيتها بالدراسة في فصول هذا البحث، فكان الفصل الاول قد أهتم بوسائل التبليغ في القرآن الكريم، ومن أهمها، القلم والخطابة بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن، أما باقي الفصول فكانت دراسة في أساليب التبليغ في القرآن الكريم كأسلوب الشعر والقصة وأسلوب التدرج وضرب الامثال، وقد بحثتها في فصول متوالية، ولا يسعني المجال أن أتناول في البحث كل الاساليب التبليغية في القرآن الكريم، فتطرقت الى أهمها أملاً أن تكون مادة يستفيد منها المبلغ في حركته التبليغية، ومن الله نستمد التوفيق.

الفصل الأول: بحث في الكليات

أهمية البحث :

تأتي أهمية التبليغ وبالخصوص في وقتنا الراهن نظراً لما تتعرض له الأمة الإسلامية من إعلام وتبليغ مضاد ويتناول القيم والمبادئ والعقيدة الإسلامية بسوء، فيحاول أن يصوره ديناً قد انتهى مفعوله في زمانه ولا يمكن له أن يتكيف مع الواقع المعاصرة بل بدأ الاعلام المعتاد بالتشويش والتشكيك بنفس هذا الدين وهل هو دين سماوي أم هو وحي نفساني المحمد (ص) من خلال ما كتبه المستشرقون من شبهات حول شخصية محمد (ص) والرسالة الإسلامية الغراء، وقد انتهج أعداء الإسلام لمشروعهم التعبوي هذا ضد الاسلام مختلف الوسائل والطرق التبليغية المعاصرة، فكان لابد لنا من مواجهة هذا الاعلام، بإعلام وتبليغ اسلامي ملتزم ينتهج وسائل وأساليب متطورة يمكنها أن تواكب تلك الوسائل والأساليب المضادة.

الهدف من البحث.

أما الهدف من هذا البحث، هو أن نضع بين يدي المبلغ الاسلامي والرسالي مجموعة من الأساليب والطرق التبليغية التي يمكنه من خلالها أن يمارس حركته التبليغية في الحياة، وارتأينا أن أفضل الوسائل والأساليب هي تلك التي جاء بها القرآن الكريم فاتخذها عنواناً للبحث لتكون منطلقاً في مسيرتنا التبليغية والتغييرية في المجتمع الاسلامي وغيره. وقد اتخذت المنهج الوصفي في البحث والتحليل.

تاريخ البحث:

إن البحث في عنوان التبليغ بحث قديم ولم يكن بحثاً جديداً، ويرجع قدمه إلى قدم القرآن الكريم حيث تناول موضوع التبليغ والإبلاغ والبلاغ في آياته المباركة، كقوله تعالى "الذين يبلغون رسالات ربهم"(الأحزاب، ٣٩)، وقوله تعالى: "وما على الرسول إلا البلاغ المبين "(العنكبوت، ١٨)، وقوله تعالي " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " (المائدة، ٦٧)، وكثير غيرها مما كان لفظ التبليغ صريحاً فيها أو ما هو في معنى التبليغ، وكل ذلك لأهمية هذا الموضوع وضرورته، ثم تناولته بالبحث أيضاً الكتب الروائية الحديثية التي تركز على أهمية التبليغ وأجر المبلغ، كما في الحديث الشريف من الرسول (ص) : " ألا وان رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهونه عن مخالفته "(الاحتجاج، ج١، ص٣٢)، وقوله (ص): (وما من داع يدعو إلى الهدى إلا كان له مثل أجر من أتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء) (الموطأ ج١، ص٢١٨، حديث ٤١)، وتناولته أيضاً كتب الأخلاق والتربية، فمنها ما تذكر عنوان التبليغ مباشرة ككتاب التبليغ في القرآن الكريم، لمحسن قراءتي وكتاب التبليغ مناهجه وأساليبه لجعفر بجاري، ومنها ما حملت عناوين مرادفة للتبليغ ككتاب أسلوب الدعوة في القرآن لمحمد حسين فضل الله، وكذلك كتابه الحوار في القرآن الكريم، والقصص الفني في القرآن لمحمود بستاني وغيرها هذا بالإضافة الى كتب التفسير التي تناولت آيات التبليغ والحديث عنه.

وجاء بحثنا هذا إكمالاً للجهود المبذولة في هذا الطريق وتحديدا الطرق والأساليب التبليغية، لرفد المبلغ الاسلامي ببضاعته التي يحتاجها.

أسئلة البحث: ان السؤال الأصلي الذي يمكن ان يطرح هنا هو أنه : هل أن القرآن الكريم ذكر أسالياً خاصة للتبليغ الديني الرسالي ؟ أما الأسئلة الفرعية

١- هل ان الأساليب التي ذكرها القرآن الكريم يمكن للمبلغ أن يستخدمها في حركته التبليغية ؟

٢-هل أن هذه الأساليب تتناسب مع ما يطرح من إعلام مضاد في وقتنا الحاضر؟

بحث في المفاهيم :

التبليغ لغة:

من بلغ وأصله واحد وهو الوصول الى الشيء تقول بلغت المكان اذ وصلت اليوم وقد تسمى المشارفة بلوغاً بحق المقاربة) (مصطفوي، ١٣٨٥ شمسي، ج١، ص٣٥٩)

والبلوغ والبلاغ: الانتهاء الى تقصى المقصد والمنتهى، مكانا كان أو زماناً أو أمراً من الأمور مقدرا وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته اليه) (مصطفوي، ١٣٨٥ شمسي، ج١، ص٣٥٩) والبلاغ والتبليغ نحو قوله عز وجل "هذا بلاغ للناس "(ابراهيم، ٥٢)

والبلاغ قد يأتي بمعنى: الكفاية، نحو قوله " ان هذا لبلاغا لقوم عابدين " (الانبياء، ١٠٦) وقوله عز وجل : " وان لم تفعل فما بلغت رسالته "(المائدة، ٦٧)

أي ان لم تبلغ هذا أو شيئا فما حملت تكن في حكم من لم يبلغ شيئا من رسالته. (الاصفهاني، ١٤٢٧هـ، ص١٤٤)

التبليغ اصطلاحاً : هو إيصال الحقيقة الى أذهان الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل. (مركز المعارف للتأليف ' التبليغ الديني مفهومه ' مضمونه ' أساليبه ' ص٨)

التبليغ الرسالي : التبليغ في الإسلام ' هو عرض وإيصال التعاليم والارشادات السماوية الإسلامية الى الناس. (مركز المعارف للتأليف ' التبليغ الديني مفهومه ' مضمونه ' أساليبه ' ص٨)

الأسلوب لغة : هو الطريق ' يقال سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ' والجمع أساليب ' يقال أخذنا في أساليب من القول : فنون متنوعة. (المعجم الوجيز،١٤١١ هـ، ١٩٩٠م،ص٣١٦)

الأسلوب اصطلاحاً : هو اختيار الالفاظ وتنظيمها للتعبير عن المعاني بأسلوب يلائم المقام. (الشايب، ٢٠٠٣، ص ٤٠)

وبشكل أوضح نقول، هو الطريقة التي يعبر بها الكاتب أو المتحدث عن أفكاره ومشاعره بأسلوبه الخاص الذي يتسم بخصائص لغوية وأدبية وبلاغية مميزة. (الشايب، ٢٠٠٣، ص ٤٠)

الطرق لغة واصطلاحاً :

الطريق : السبيل الذي يطرق بالأرجل، أي يضرب، وعنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان في فعل، محموداً كان أو مذموماً، قال تعالى : ((ويذهبا بطريقتكم المثلى)) (طه -٦٣) وجمع طريق طرق. (الاصفهاني ١٤٢٧هـ، ص ٥١٨-٥١٩)

الفصل الثاني: وسائل التبليغ في القرآن الكريم

التبليغ بالقلم

التبليغ الرسالي لا يتوقف في أدائه على نمط محدد، بل يأخذ ألواناً متعددة، تشكل إبداعاً وهذا يمتاز به أصحاب الكفاءات النيرة، فهناك من يمتاز بقلمه ليعبر من خلاله عن هدفه، وهناك من يمتاز بأدبه وشعره وهناك من يمتاز بخطابه البليغ، وهناك من يمتاز بريشته الإبداعية التي يصبها في لوحات فنية تحمل هموماً رسالية عريقة، فكل هذه الإبداعات إنما هي وسائل وطرق تبليغيه معاصرة، فقد تعرض القرآن الكريم إلى بعض منها، (التبليغ بالقلم، التبليغ باللسان)

التبليغ بالقلم: فقد عبرت عنه بعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى : " ن. والقلم وما يسطرون " (القلم، ١) وقوله تعالى: " الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم" (العلق، ٤، ٥)، فقد جاء في تفسير الآية الأولى: (إن الله سبحانه أقسم بالقلم وما يسطرون به أي مطلق ما يسطرون به وهو المكتوب فإن القلم وما يسطر به من الكتابة من أعظم النعم الألهية التي أهتدى إليها الإنسان في ضبط الحوادث الغائبة عن الأنظار والمعاني المستكنة في الضمائر، وقد أمتن الله سبحانه على الإنسان بهدايته إليهما وتعليمها له، أي القلم والكتابة)... فإقسامه تعالى بالقلم وما يسطرون اقسام بالنعمة، وقيل المراد بالقلم، القلم الأعلى الذي هو أول ما خلق الله وبما يسطرون أي ما يسطره الحفظة الكرام الكاتبون.) (الطباطبائي، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢٩، ص٣٨٣)

هنا بين لنا أهمية القلم كوسيلة من وسائل التعليم والتبليغ والمعرفة، فالقلم الذي يكتب به الناس وما يسطرون ويكتبون به من قضايا وأفكار ومعارف وعلوم فهو في غاية الأهمية، حيث يعتبر (مصدراً لجميع الحضارات الانسانية في العالم أجمع وإن تطور وتكامل العلوم والوعي والأفكار وتطور المدارس الدينية والفكرية وبلورة الكثير من المفاهيم الحياتية... كان يفضل ما كتب من العلوم والمعارف الإنسانية في الحقول المختلفة مما كان له الأثر الكبير في يقظة الأمم وهداية الانسان.... وكان ذلك بواسطة القلم.

لقد قسمت حياة الانسان إلى عصرين عصر التاريخ، وعصر ما قبل التاريخ، وعصر تاريخ البشر يبدأ منذ أن اخترع الانسان الخط واستطاع أن يدون قصة حياته وأحداثها على الصفحات، وبتعبير آخر يبدأ عندما أخذ الانسان القلم بيده ودون للآخرين ما توصل إليه "وما يسطرون " تخليداً لماضيه) (الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٢٩،ص ٣٢٥ – ٣٢٦)

وهكذا كان القلم الذي الهم الله الناس أن يستخدموه كأداة للكتابة هو الأداء التي أعطت الانسانية ثقافتها الواسعة ومنحتها كل امكانات التقدم والتطور والارتفاع ولولاها لبقيت المعرفة تحت رحمة الكلمة المسموعة التي تبقى في دائرة ضيقة في نطاق الظروف المحدودة المحيطة بالإنسان الخاضعة لحدود الزمان والمكان.

لذلك احتل القلم المكانة والأهمية الكبرى حيث أصبح في المستوى الذي يقسم الله تعالى به كما يقسم بالأمور المهمة من خلقه فيما أنعم الله على العباد به من نعمه الكثيرة.

وقد جاء في تفسير المراغي عن هذه الآية، حيث قال: ((اقسم سبحانه بالقلم والكتب فتحاً لباب التعليم بهما ولا يقسم ربنا إلا بالأمور العظام فاذا أقسم بالشمس والقمر والليل والفجر فإنما ذلك لعظمة الخلق وجمال الصنع وإذا أقسم بالقلم والكتب فإنما ذلك ليعم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس وترقى شؤوننا الاجتماعية والعمرانية ونكون كما وصف الله "كنتم خير أمة أخرجت للناس " (أل عمران -١١٠))) (المراغي، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م، ص١٢٤)

أما السورة الأخرى التي جاءت تؤكد أهمية القلم، وهي سورة العلق، حيث جاء فيها قوله تعالى:"الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " (العلق، ٤-٥)

وقد ذكر صاحب تفسير الأمثل: أن الآية تحتمل معنيين المعنى الأول هو: أن الله علم الانسان الكتابة وأعطاه القدرة العظيمة التي هي منبثق تاريخ البشر ومنطلق جميع العلوم والفنون والمحاضرات، والمعنى الثاني: هو أن المقصود أن الله علم الانسان جميع العلوم عن طريق القلم وبوسيلة الكتابة، وبإيجاز أما أن يكون التعليم تعليم الكتابة أو تعليم العلوم عن طريق الكتابة، وهو على أي حال تعبير عميق المعنى. (الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٢، ص١٩٧)

ولكننا نعلم أن هذه الآيات حينما نزلت على النبي (ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة وكذلك المجتمع حيث كانت تسوده الأمية والجهل وانعدام الحضارة، وهذا يدلل على ما للقلم والكتابة من أهمية لابد من الاهتمام بهما للرقي إلى عالم متطور متعلم يعير للعلم والعلماء أهمية أكبر.

واليوم نرى أهمية القلم والكتابة بشكل جلي، فهو محور كل العلوم والمعارف والتقدم الثقافي والحضاري وبه تتقدم المجتمعات، وأننا نعلم أن وعي ومعارف وعلوم المسلمين هي التي مزقت ظلام القرون الوسطى في أوربا وأدخلتها عصر الحضارة، وهذا ما يعترف به علماء أوربا أنفسهم فيما يكتبونه في حقل التاريخ والتراث الإسلامي(الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٢، ص١٩٧).

كما أن صلاح المجتمعات البشرية ينطلق من الأقلام الملتزمة المؤمنة وفساد المجتمعات ينشأ من الأقلام الفاسدة والمسمومة وعلى هذا الأساس نفهم أن أساس الإسلام أقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم والكتابة.

التبليغ باللسان: ويمكن أن يدخل في هذا الباب كل أقسام التبليغ غير القلم والكتابة، ومنها الخطب والمواعظ والحكم والجدل والحوادث العالمية والدينية وغير ذلك، مما يمكن أن تجرى على اللسان بكلمات واعية وهادفة، وقد أكد القرآن الكريم على بعض هذه الأساليب، فقال تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)). (النحل ١٢٥) هذه الآية تبرز أسلوب التبليغ باللسان وكيفية الاستفادة منه في مواجهة الآخرين، وطريقة التعامل معهم فيما إذا كانت تتم عن طريق العنف أو عن طريق اللين والرفق فالآية تحدد للأسلوب التبليغي ثلاثة طرق (١) الحكمة (٢) الموعظة الحسنة (٣) الجدال بالتي هي أحسن.

الحكمة : وقد جاء في تفسيرها أنها المقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحقالمزيل للشبهة، ويجوز أن يريد القرآن أي أدعوهم بالكتاب الذي هو حكمة. (الزمخشري، ١٤٢١هـ /٢٠٠١ م، ج٢،ص٤٣٥)

أما صاحب تفسير الأمثل فقد قال عنها: أن الحكمة بمعنى العلم والمنطق والاستدلال وهي في الأصل بمعنى (المنع) وقد أطبقت على العلم والمنطق والاستدلال، لقدرتها على منع الانسان من الفساد والانحراف (الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٨،ص٣٤٣) فأول طريقة وخطوة في التبليغ والدعوة إلى الحق هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم والنفوذ إلى داخل فكر الناس ومحاولة تحريك وإيقاظ عقولهم كخطوة أولى في هذا الطريق

الموعظة الحسنة

وقد ذكر في معناها:

أن الوعظ الحسن والصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع(فضل الله،،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م، ص٣٢٧)

أما صاحب تفسير الأمثل، حيث اعتبر الآية تمثل أسلوباً تكتيكياً يسلكه المبلغ أو الداعية في مواجهة المخالفين والمنحرفين، فقال: أن الموعظة الحسنة تمثل الخطوة الثانية في طريق التبليغ والدعوة إلى الله، بالاستفادة من عملية تحريك الوجدان الانساني وذلك لما للموعظة الحسنة من أثر حقيقي وفاعل على عاطفة الانسان وأحاسيسه وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحق ويضيف قائلاً: أن تقييد (الموعظة) بقيد (الحسنة) لعله اشارة إلى أن النصيحة والموعظة إنما تؤدي فعلها على الطرف المقابل إذا خليت من أية خشونة أو استعلاء وتحقير والذي بثير فيه حس العناد واللجاجة وما شابه ذلك.وقد فسر البعض أن الموعظة الحسنة تتعامل مع البعد العاطفي للإنسان(الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٨، ص٢٤٣)

الجدال بالتي هي أحسن:

قد يتطور موقف المبلغ ويسلك طريقاً اخرا يكاد يكون أكثر شده واحكاما يدعوه إلى الجدال والحوار والنقاش، ولكن ينبغي أن لا يخرج هذا الحوار عن كونه الأحسن حيث ينظر فيه إلى كل ما هو جميل وحسن من القول لينتخب الأحسن منه أي أنه يوسع من صدره ولا يتأثر بالمواقف المتشنجة والمخالفة لعقيدة التوحيد وليتحلى بالصبر والورع وحلاوة اللسان كي يستطيع أن ينفذ إلى اعماق الآخرين ويؤثر فيهم. أما صاحب تفسير الأمثل، فقد اعتبرها خطوة ثالثة في طريق التبليغ فقال: ((إنها تختص بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه والافكار المغلوطة ليكون مستعداً لتلقي الحق عند المناظرة.

ثم قال: وبديهي أن تكون المناظرة والمجادلة ذات جدوى إذا كانت بالتي هي أحسن، أي أن يحكمها الحق والعدل والصحة والأمانة والصدق وتكون خالية من أية إهانة أو تحقير أو مغالطة)) (الزمخشري، ١٤٢١هـ /٢٠٠١ م، ج٢،ص٤٣٥)

وبذلك تعرف أن هذه الطرق الثلاثة (الحكمة – الموعظة الحسنة – الجدال بالتي هي أحسن هي الطرق الأنجح في عملية التبليغ وهي أكثر انسجاما واستجابة مع الفطرة الإنسانية والمجتمعات البشرية لذلك اهتم بها القرآن الكريم واعتبرها الطريقة العملية المثلى في اسلوب الدعوة والتبليغ الديني.

الفصل الثالث: أساليب التبليغ في القرآن الكريم

الشعر وأثره في التبليغ:

كان الشعر وما يزال وسيلة إعلامية وتبليغيه كبيرة ومؤثرة في المجتمع، وكان مجتمع الجزيرة العربية يولي اهتماماً عظيماً للشعر و الشعراء، ومن هنا جاءت الآيات القرآنية تحدد المسار الألهي للشعر والشعراء ليتخذوه منهجاً وسبيلاً لاحباً لمسيرتهم الإلهية المباركة ولكن ينبغي الاشارة إلى أن القرآن الكريم لم يتخذ الشعر وسيلة من وسائل التبليغ، بل كان الشعر سائداً ومنتشراً أنداك ويعتبر مظهراً تبليغا مهماً، فجاء القرآن الكريم ليحدد الموقف منه، فقال تعالى: ((والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)) (الشعراء، ٢٢٤-٢٢٧)

فالآية المباركة تحدد بوضوح أن في الشعراء اتجاهين مختلفين لا يلتقيان أبداً هما: خط الكفر وخط الإيمان، كما جاء في بيان وتفسير هذه الآية المباركة، عن ابن عباس قال: يريد بالشعراء، شعراء المشركين وذكر مقاتل أسمائهم... تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد (ص) وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم، ويروون عنهم حين يهجون النبي (ص) و اصحابه فذلك قوله (يتبعهم الغاوون)، وقيل: أراد بالشعراء الذين

غلبت عليهم الأشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة، وقيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبوا وإذا قالوا كذبوا وإنما صار الأغلب عليهم الغي، لأن الغالب عليهم الفسق، فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب، ثم يمدح للصلة، ويهجو على حمية الجاهلية، فيدعوه ذلك إلى الكذب ووصف الانسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل. (الطبرسي، ١٤١٢ هـ/، ١٩٩٢ م، ج٧، ص٣٥٩)

ومن هنا جاءت بعض الروايات تم الشعر والشعراء، فعن الإمام الصادق (ع) في قوله تعالى:" والشعراء يتبعهم الغاوون " قال (هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (الطبرسي، ١٤١٢ هـ/، ١٩٩٢ م، ج٧، ص٢٠٨)

وعن النبي (ص) قال: ((لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يراه خير له من أن يمتلئ شعراً)) (الحر العاملي، ١٤١٢ هـ، ج٣، ص٨٤).

وجاء في الوسائل أيضاً،((يكره رواية الشعر للصائم وللمحرم وفي الحرم زفي يوم الجمعة وأن يروى بالليل)) (الحر العاملي، ١٤١٢ هـ، ج٧، ص١٢١). ولكن ليس كل شعر هجاء وإغواء، بل منهم الشعراء المؤمنون الذين مدحوا الرسول (ص) وانتصروا له، وهذا الاستثناء موجود في الآية المباركة الآنفة الذكر حيث يقول تعالى: ((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً)). (الشعراء ٢٢٧)

فقد جاء في تفسيرها، هذا استثناء من الشعراء المذمومين والمستثنون هم شعراء المؤمنين فأن الأيمان وصالحات الأعمال تروع الأنسان بالطبع عن ترك الحق واتباع الباطل ثم الذكر الكثير الله سبحانه يجعل الأنسان على ذكر منه تعالى مقبلاً على الحق الذي يرتضيه مديرا عن الباطل الذي لا يحب الاشتغال به فلا يعرض لهؤلاء ما كان يعرض لأولئك. (الطباطبائي،١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م،ج ١٥، ص٣٣٢)

وبهذا البيان يظهر وجه تقييد المستثنى بالإيمان وعمل الصالحات ثم عطف قوله (وذكروا الله كثير) على ذلك، وقوله: وانتصروا من بعد ما ظلموا الانتصار الانتقام، قبل المراد به ردة الشعراء المؤمنين على المشركين اشعارهم التي هجوا بها النبي (ص) أو طعنوا فيها في الدين وقدحوا في الاسلام والمسلمين(الحر العاملي، ١٤١٢ هـ، ص٣٣٣)

وهناك كثيرا من الروايات تبين أهمية الشعر في أداء رسالة التبليغ واله كالسيف الذي يطلق ضد الباطل، وانه أن يستخدم كوسيلة إعلامية مهمة في الارشاد والتوعية والتبليغ الديني والرسالي، فقد جاء في البحار: ((أن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحراً)) (المجلسي، ١٣٦٥ شمسي، ج٧٩، ص٢٩).

وعن كعب بن مالك قال: (يا رسول الله ماذا تقول في الشعراء؟ قال: إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ينصحونهم بالنبل) (السيوطي، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م، ج٥، ص١٠٠)

وعن البراء بن عازب قال: ((قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت : اهج المشركين فإن جبرئيل معك)) (الحويزوى، ١٤١٥ هـ، ج٤، ص٧٠)

وكما ينقل لنا التاريخ الإسلامي، أن النبي (ص) كان يجاهد وحوله أصحابه، وفيهم شعراؤه حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، يستلهمون منه الوحي والارشاد وينفعونه بجميل أشعارهم وقصائدهم، وقد حول القرآن الكريم توجهات الشعراء واهتماماتهم من أمور وضيعة وبسيطة وسانحة إلى مواضيع وهموم عظيمة وحولهم من الاهتمام بالخمر والناقة والبكاء على الأطلال في الاهتمام بالرسول وبالرسالة الإسلامية وبحب المسلمين وايثارهم، وبالتفكير في نقل البشرية من عالم موغل في الجاهلية والظلام الدامس إلى العالم على بالحب والنور والخير والعطاء وأكثر من تكثر القرآن الكريم الشعراء والأدباء والبلغاء، لأنه يخاطبهم بالأدوات التي يستخدمونها وباللغة التي يتباهون بإجادتها والتعبير بها مما يختلج في قلوبهم من عواطف وخيالات وأفكار، وقد أصاب الشعراء الانبهار والدخول أمام عظمة القرآن الكريم البلاغية وصورته الفنية، وكما يزين الناس الجدر باللوحات الفنية الرائعة من رسوم جميلة وخطوط باهرة زين الشعراء والأدباء المسلمون مقالاتهم قصائدهم بالآيات البينات، فجاء شعرهم ونترهم أروع وأبدع ما يكون وشاهد صدق على تأثرهم بالقرآن المجيد، فنرى بن سناء الملك يقول :

رحلوا فلست عن دارهم أنا باخع نفسي على آثارهم

(مجلة التوحيد، السنة العاشرة، ١٤١٢ هـ، مقال)

ومنذ بزوغ الاسلام ولحد الآن وعلى مر القرون والأعوام، ومن خلال تتبع الحياة الأدبية والثقافية للمجتمعات الإسلامية عبر التاريخ تشاهد أن القرآن فعل فعله في نفوس الشعراء والأدباء، وأوجد لهم ساحات أدبية جديدة ومحددة، وفتح أمامهم أفقاً رحبة، ظلوا ينهلون منها ويتفاعلون معها، يستقون منها المحبة والخير والعطاء، ويهدون للأمة قصائد ومقالات ومقامات وقصصاً إسلامية رائعة تلهب مشاعر

النفوس وترفع المسلمين إلى عالم أسمى ملئ بالمثل الألهية العليا.

وهناك مواضيع شعرية أثر فيها الإسلام وحث على النظم والكتابة فيها كشعر الزهد، وشعر توح والشعر السياسي وشعر الرثاء والحسيني، فقد جاء في البحار: (من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة.)) (المجلسي، ١٣٦٥ شمسي، ج٧٩،ص٢٩١) وقد ظهر أيضاً شعر المديح للنبي محمد (ص) في بداية الرسالة الإسلامية على لسان مراء النبي (ص) وكان أشهرهم حسان بن ثابت فهو أول مدح النبي (ص) ومن هذه السنة الحسنة.

كانت القصيدة المشهورة لكعب بن زهير

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول

والتي يقول فيها :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

تمثل إحدى أروع القصائد في المديح النبوي، وقد ألقى رسول الله (صلى الله عليه واله) بروته على كعب بن زهير إعجاباً بهذه القصيدة وتشجيعا له) (مجلة التوحيد، السنة العاشرة، ١٤١٢ هـ، مقال)

وقد انتشر شعر المديح النبوي على يد الزهاد والمتصوفين من المسلمين، فكانت ضراعات الزهاد مقرونة بالمديح للنبي (ص) وبيان خصاله وفضائله متوسلين به في النجاة من النار والخلاص من العذاب، (ومن أئمة شعراء المديح النبوي الفقيه والكاتب الشاعر شرف الدين البوصيري، فقد اشتهر بقصيدين رائعتين في مديح النبي (ص) وهما (المزية النبوية) (٤٥٨) بينا) و(البردة الميمية) (١٨٠ بيتاً) يقول البوصيري حول قصيدته الميمية (أمن تذكر جيران بني سلم مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدم) اتفق أن أصابني فالح أبطل نصفي ففكرت في عمل قصيدتي هذه (البردة) فعملتها واستشفعت إلى الله تعالى في أن يعافيني وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت وتمت، فرأيت النبي (ص) في المنام – فمسح على وجعي بيده المباركة وألقى علىَ بردة فانتبهت ووجدت فيَ نهضة وخرجت من بيتي)) (مجلة التوحيد، السنة العاشرة، ١٤١٢ هـ، مقال)

وهذا يثبت لنا الزهد والتقوى اللالهي اقترن بشعر المديح للنبي (ص) ولم يقتصر هذا اللون من الشعر على الشعراء القدامى، بل أنا بعد النغمات القرآنية موجودة حتى لدى شعرائنا المعاصرين من أمثال الجواهري والرصافي ومحمد العبد آل خليفة وأحمد سحنون، فالثقافة الإسلامية والمفاهيم القرآنية أملت على كثير من كبار الشعراء الاهتمام بالموضوعات الدينية مثل المدائح النبوية وتسجيل المناسبات الدينية وغير ذلك. لقد كانت العقائد الدينية والمعاني القرآنية من الروافد الأصلية التي ألهمت الشعراء هذه الفترة وأغنت تجاربهم، وفتحت أمامهم أبعاداً خصبة من الرؤية الكلية للحياة والوجود، فمن الأشعار التي ذكرت فيها صفات الله شعر محمد العبد آل خليفة حيث يقول :

الغالب القهار فوق عباده من ذا يكيد الغالب القهار

وما ذكر عن صفات المؤمنين في شعر أحمد سحنون

ومن يتحل بثوب التقى يجد مخرجاً ونيل ما طلب

ويلق رضى الله عن جنده ويرزقه من حيث لا يحتسب (شلتاغ ، نيسان ٢٠١١)

وقد استفاد الشعراء أيضاً من لغة القرآن والفاظه من قبيل لفظ (الهدى، الإيمان، التقى) وما يقابلها من ألفاظ (الضلال، الشرك، الكفر) وكذلك من التصوير القرآني في شعرهم مثل قول الرصافي :

تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى، ولكن من عذاب مشدد

وكذلك استفادوا من المثل القرآني، وهو من مظاهر الصورة القرآنية ومن مشاهد الطبيعة الواردة بكثرة في القرآن الكريم، كما في قول شوقي

الله صاغك جنتين لخلقه محفوفتين بأنعم لعياله (شلتاغ ، نيسان ٢٠١١)

ونحن رغم ملاحظاتنا الخاصة على هذه الأشعار وتوجهها، إلا أنها تثبت حقيقة واضحة وهي أن الروح القرآنية والذوق والصورة القرآنية كانت تسبغ على هذا اللون من الأشعار وتعطينا صورة واضحة حول انعكاس المفاهيم القرآنية في الادب العربي الحديث.

من هنا نفهم أن التبليغ الإسلامي يمكن أن يتخذ أشكالاً متنوعة تحمل الكلمة الطيبة الجميلة والجزلة التي تأخذ باللباب وتشغب القلوب، ولكن ينبغي أن لا تخرج هذه الكلمة من مسارها الحقيقي حيث الهداية والارشاد والتبليغ الحق عن الرسالة السماوية التي أريد لها أن تكون منهاجاً للحياة يسلكها الانسان في كل خطواته في أناء الليل وأطراف النهار حتى يحقق الهدف الذي أراد الله تعالى له ((ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) (الذاريات، ٥٦)

وبذلك يكون الانسان الخليفة الأمين والمبلغ عن الله ورسوله ورسالته والشعر هو أفضل مظاهر الكلمة الطيبة التي يراد لها أن تأخذ مجراها في الحركة التبليغية لذلك أولاه القرآن بالاهتمام وحدد له الضوابط ورسم للشعراء الحدود التي ينبغي لهم التوقف عندها وعدم تجاوزها، لكي يكونوا هم أيضاً من حملة الدين والناصرين له والمبلغين عنه.

ومن هذا تفهم أن القرآن الكريم حينما ذم الشعر والشعراء، لم يكن ذمه بشكل مطلق، بل استثنى منه ما كان من الشعراء من المؤمنين بقوله: ((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا)) (الشعراء، ٢٢٧) حيث يمكن أن يكون الشعراء حملة الحق والمدافعين عنه ضد الظلم والعدوان وناشرين راية الهدى والإصلاح.

الفصل الثالث: أساليب التبليغ في القرآن الكريم

القصة وأثرها في التبليغ

الأسلوب القرآني في التبليغ القصصي

أثار القرآن الكريم، في أساليبه الرسالية التبليغية أكثر من أسلوب، من أجل تغيير الإنسان والوصول إلى عقله وشعوره فيما يفكر فيه حول الكون والحياة والانسان، ولكي يقتنع بما يطرح عليه من فكر يربطه بالله تعالى فتمتزج العقيدة بالإحساس فتحصل على نوع من التفاعل والحيوية، ولا تكون مجرد فكرة جامدة لا تحرك في الانسان شيئاً.

وكانت القصة من بين الطرق التي يملكها القرآن في هذا السبيل، سواء في ذلك القصة التاريخية التي تتحدث عن تاريخ الأنبياء السابقين، والأمم السابقة، أو القصة التي تذهب مذهب المثل، أو القصة الموجزة التي تشير إلى موقف خاص أو نموذج بشري معين.

وقد كان للقصة في القرآن طريقتان :

أولاً : طريقة عرض الأحداث بشكل تقريري – وإن كان مجملاً – تنتقل في الحكاية من مرحلة إلى أخرى حتى توصلنا إلى نهاية معينة، كما في عرض القرآن الكريم لقصة موسى (ع) مع فرعون

فمثلاً في سورة القصص قال تعالى: ((طسم. تلك آيات الكتاب الْمُبِينِ نتْلُوا عَلَيْكَ من نبأ موسى وفرعون بالحقِّ لقوم يؤمنون. إن فرعون علا في الأَرْضِ..)) (القصص،١-٣)

وكذلك عرضه لقصة يوسف (ع) حيث قال تعالى: ((نحن) لقص عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمين العاملين إِذْ قَالَ يُوسُفُ بأبيه يا أنت أني رأيت أحد عشر كوكا والشمس والقمر رأيتهم في ساجدين)) (يوسف، ٣-٤)، وكذلك قصة نوح وإبراهيم وعيسى وغيرهم من الأنبياء السابقين، نرى أن القرآن الكريم رغم أنه لم يتطرق إلى تفاصيل القصة بشكلها الأدبي والفني، ولكنه أعطى صورة مجملة عن الواقعة والحكاية التي يراد لها أن تحقق الهدف القرآني المنشود. (فضل الله، ١٤٠٤ هجري، ١٩٨٤ م، ص ٢١٥)

ثانياً : طريقة الحوار، وقد سلكت القصة طريقاً آخر في بيان أحداثها ووقائعها لا بشكل تقرير، بل بصورة الحوار، الذي يحاول أن يمثل فيه كل طرف من أطراف القصة وكل بطل من أبطالها دوره الذي يعبر عنه بأسلوب واضح. وبين، كما في قصة هود وحواره مع قومه عاد، يحدثنا القرآن الكريم بذلك قائلاً: ((وَإِلَى عَادٍ أَخاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذبين)) (الأعراف، ٦٥- ٦٦)، الحوار هذا يدور بين نبي الله وقومه، وكيفية مواجهة قومه للدعوة باتهامه بالسفاهة والكذب. أما

أسلوب النبي (ع) فقد تمثل بالرد على التهمة بهدوء الرسالة ودعوته إلى التفكير العميق في المسألة، ومحاولة التحبب إليهم عندما يخاطبهم من خلال شخصية الناصح الأمين، وكذلك باقي الحوارات التي دارت بين أنبياء الله وقومهم أو الحوارات الدائرة بين المؤمنين والكافرين وبين أهل الجنة وأهل النار.

والفرق بين هاتين الطريقتين للقصة أن الأولى – طريقة العرض التقريري – أن المتحدث فيها يقف موقف المرشد الذي يقود تفكير السامعين أو القارئين إلى النقاط الأساسية في أسلوب يقرب من التلقين الذي يراد منه تعبئة الفراغ بشكل دقيق. أما طريقة الحوار، فإن قيمتها هي في محاولتها تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها، فلا تترك أي جانب خفي فيها، لأن كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها، كما ويمتاز الحور في أنه يجسد الموقف أمامك فتشعر فيه في الحياة المتحركة التي تنتقل من موقف إلى موقف، ومن جو إلى جو، وتعيش فيه الأحداث الماضية فمن خلال أبطالها الذين تشعر بهم يتحركون أمامك في أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنت حاضراً معهم (فضل الله، ١٤٠٤ هجري، ١٩٨٤ م، ص٢١٦). لذلك نرى أن هذا اللون أتخذ مساحة أكبر في القصص القرآني، نظراً لكثر الذي يتركه على القارئ والمتلقي من القرآن والوحي الألهي المبارك.

الهدف من القصة في القرآن الكريم :

القصة في القرآن تكاد تختلف كل الاختلاف عن القصص الأدبية الفنية والروايات التاريخية المعاصرة فهي في اغراضها واهدافها، لم تستهدف عرض التاريخ المجرد التاريخ، حتى تخضع لما تخضع له حكاية التاريخ من أحداث ومواقف وتفاصيل أو عرض الواقع من أجل اعطاء الصورة قصب ضاع الأحداث بكلمات جملة علبة نقود السابع متابعة أحداثها بشكل واله يستهوي الابصار ويأخذ

بل كانت القصة القرآنية مرتبطة بالخط القرآني الكبير، وهو الدعوة إلى الله وارشاد الناس إلى الحق وهدايتهم على الإيمان بالله والتسليم له سبحانه وتعالى، واخراجهم من الظلمات المالكة التي يتخبط فيها واقعهم الفاسد المرتبك إلى النور المنطلق من قلب الاسلام وافاق الرسالة الإسلامية.

وبما أن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً أو كتاباً تاريخياً أو أدبياً كي يتحرى الأحداث والوقائع بشكل تفصيلي كما في كتب التاريخ والأدب التي تنطلق بعناصرها الفنية من أولها حتى نقطة الاشتباك ثم نقطة التدوير والاخراج بالموقف في نهاية القصة.

بل القرآن كتاب هداية وتغيير وعبرة، فهو يتبع هدفه هذا في كل ما عرضه من تاريخ، وصور من واقع على أنا ترى أن القصة التاريخية الواحدة قد تكرر في أكثر من سورة على أساس علاقتها وارتباطها بذلك الهدف وعلاقة القصة بالفكرة التي تتحرك في إطارها، وحاجة الفكرة إلى بعض جواب

القصة كما نجد ذلك في قصة موسى (ع) فقد كانت من أكثر القصص القرآنية تكراراً، "فقد ذكرت فيما يقرب من الثلاثين موضعاً أو تزيد "(فضل الله،، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م ، ص ٢٦٣)، ولعل السبب والقيمة فيها متماثلة في شخصية موسى (ع) القوية التي دخلت إلى الحياة في ظروف صعبة في أول ولادته وفي المجتمع المقهور المستعبد في ذلك الوقت والحياة قلقة التي درج فيها في أول خطواته، مما جعله يختزن ذلك كله في كيانه، ليواجه الحياة من موقع الشعور بالقوة..

ولعل من أبرز الأهداف التبليغية في القصص القرآني، هو التركيز على وحدة الرسالات، ووحدت الأساليب التي يتبعها الرسل في الدعوة إلى الله، ووحدة الروحية التي يعيشها الأنبياء فيما ينطلقون به من دعوة، وفيما يواجهونه من مشاكل وصعوبات تعترض طريقهم، أو فيما يقابلونه من تحديات أعداء الله في كل زمان ومكان، على الرغم من اختلاف الظروف المحيطة بكل واحد منهم، وعلى طبيعة الدوافع التي تحكم الكافرين والمعاندين والمنحرفين وارتباطها بالنوازع النفسية.

وقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن تجارب الأنبياء السابقين مع أقوامهم وأوضاعهم العامة والخاصة وليجد فيها النبي والعاملون معه والسائرون على طريقه الملتزمون بخطاه من المبلغين الصورة الحية التي تربط الماضي بالحاضر، مما يجعل التجارب التبليغية جاهزة للتطبيق العملي في حياتنا، مع مراعاة الخصائص المعنية للظروف في نطاق الزمان والمكان.

نموذج من القصص القرآني :

هناك نماذج كثيرة في القرآن الكريم تبرز الاسلوب القصصي في التبليغ الرسالي ولعل أكثرها وضوحاً، هي قصص الانبياء السابقين مع قومهم والتي يتحدث عن معاناة هؤلاء الانبياء في طريق التبليغ والدعوة وحمل الرسالة الحقه، وسوف نتناول نموذجاً واحداً من هذه النماذج الرسالية لتسليط الضوء على المواقف التبليغية العملية التي كان النبي (ص) يتبعها مع اعداء الرسالة والمعاندين وكيف تمكن من ايصال مهمته التبليغية الرسالية بأمان وسلامة في الدين، وسوف نتطرق الى قصة نوح (ع) مع قومه، والتي تحدث عنها القرآن الكريم في كل من سورة الاعراف ويونس وهود والمؤمنون والشعراء وسورة الجن وإذا انطلقنا مع نوح (ع) منذ رحلته الأولى فنقرأ

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِي لَكُم نذير مبين أن لا تعبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ما نراكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ، بَلْ نظُنُّكُمْ كَاذبين)) (هود، ٢٥-٢٧)

بدأ النبي نوح (ع) رحلته التبليغية بالدعوة إلى الله والانذار بالعذاب، ولكن في إطار المحبة، التي عبر عنها بالخوف عليهم، تماماً، كمن يحس بالهلع إذا انطلق من يحب في طريق يؤدي به إلى الهلاك.

وهذا أسلوب جيد في التبليغ حيث يجعل المبلغ الحافز والمبرر للتبليغ هو أمر عاطفي يتخلله الحب والرحمة بهم حيث يقول (ع) ((إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ)) (هود،٢٥-٢٧).

ولكن قومه الذين ينطلقون من خط فكري يختلف تماماً عما جاء به نوح (ع) بدأوا يقايسون بينه

وبين م يدعوهم إليه، فما الذي يميزه عليهم وهو بشر مثلهم – ليكون له هذا المركز الخطير حسب تعبيرهم، وما الذي يغريهم بالانتماء إليه والاندفاع مع أتباعه الذين هم أرذال القوم – وفي نهاية المطاف كانت هذه المؤشرات سبباً في النتيجة الطبيعية التي ختمت بها الآية كلمتهم ((بَلْ نَظنكُمْ كَاذِبِينَ)) (هود،٢٥-٢٧).

وفي موضع آخر من سورة هود نفسها نرى النبي نوح (ع) ينطلق في حواره ورده على قومه لتصحيح الخطأ الذي ذهبوا إليه ويخاطبهم قائلاً: ((ويا قوم لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُلاقُوا رَبِّهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَن ينصرني مِنَ اللَّهِ إِن طردتهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ولا أقول إني ملك)) (هود ٢٩-٣٠-٣١)

فالنبي نوح (ع) يحاول أن يفهم قومه أن هروبهم من دعوته إذا كان نتيجة خوفهم من الخسارة المالية التي تترتب عليهم، بما يفرضه عليهم الرسول، لمصلحته الشخصية فإن عليهم أن يطمئنوا إلى أن

الأنبياء لن يطلبوا أجراً من أحد لأن أجره على الله في الدنيا والآخرة.

ثم يتطرق لأتباعه الفقراء البسطاء الذين في المستوى الأعلى من الهرم الاجتماعي الطبقي، ليعلن لهم أنه لا يمكن أن يطرد هؤلاء المؤمنين فإنهم سيقدمون على الله بأعمالهم وسيجدون عنده المقام الكبير والشأن العظيم ثم يثير أمامهم قضية القوة والضعف... فمن ذا الذي ينصره من الله إن طردهم، لأن ابعاد هؤلاء المؤمنين الذين هم أولياء الله وجنده يعتبر ظلماً لهم وللرسالة يستحق عليه العذاب، ولكنهم بما أنهم لا يملكون الحجة البالغة والبيان فقد جاء جوابهم نابعاً من التعد والعداد ((قَالُوا يانوح قد جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) (هود،٣٢) وقد هددوه بالرجم كما جاء في قوله تعالى: ((قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجومِينَ)) (الشعراء، ١١٦) فهذه الآيات تأتي

مقطعاً من قصة نوح (ع) تبين فيه الفرق بين أسلوب الرسل في التبليغ والدعوة إلى الله، وبين أسلوب الكفار في الرد، وتفتح هذه القصة اسلوباً للحوار في عملية التبليغ في كل زمان ومكان، فيما يجب أن يكون المبلغون عليه من الروح الهادئة الواثقة التي تقابل التحدي بالروح التي لا ترد التحدي بالحقد، بل ترده بالجهة القوية في إطار المحبة والحنان لتترك للآخرين مجال التراجع من خلال المحبة.

فنحن نرى أن القرآن الكريم استخدم أسلوب القصة هذا للتبليغ الرسالي الهادف الذي يستسيغه المستمع وينقاد اليه بتتبع جميع مراحله والتي يحصل من خلاله على الغذاء الروحي والبلاغ والتوجيه وبذلك يتحقق الهدف المنشود للرسالة الالهية والرسل المبلغين والمنذرين.

الفصل الرابع : أسلوب التبليغ في القرآن الكريم

المرحلية والتدرج في التبليغ :

لقد امتاز القرآن الكريم بأسلوبه التبليغي التدريجي، حيث جاء منسجما مع المنهج التغييري للمجتمع البشري، وطبقاً لفطرة الانسان التي تأبى الإقحام والإكراه الدفعي الذي يفاجأ به الانسان في آن واحد. ومتطابقاً مع سنة الله في تغيير المجتمعات، لذا كان له بالغ الأثر في نشر الدعوة وتقبلها بشكل كبير وواسع.

ومن الواضح أن عملية التغيير في المجتمع ليست عملية ميكانيكية يتغير الفرد والمجتمع بسببها للحظة واحدة، بل هي عملية جوهرية ذاتية يتغير بموجبها المحتوى الداخلي للإنسان، فتتغير بذلك المظاهر العامة للحياة والمجتمع ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (الرعد، ١١)

لذا يكون نجاح أية فكرة تغييرية بمقدار نفوذها إلى واقع الانسان وانسجامها مع فطرته، غير متناظرة مع متطلباتها، وحاجاتها الضرورية، وإلا فتصيبها الفشل العاجل أو الآجل.

لذا جاء الأسلوب القرآني في التبليغ وإيصال رسالة السماء للبشرية بشكل تدريجي، ولم يكن هذا الأسلوب تشوبه شائبة من شوائب العفوية أو الارتجال أو الاعتباط، وإنما كان مقدراً أحسن تقدير ومرسوماً من قبل العليم الخبير ولهذا أثمر للبشرية أسمى حضارات كوكبنا الأرضي.

ولو تدبرنا الأسلوب التبليغي للدعوة الاسلامية لوجدناه اتخذ التدرج في ثلاث مجالات :

التدرج في موضوع التبليغ :

إن الأسلوب القرآني في التبليغ، لم يأت بالأحكام والتشريعات والعقائد والتقنين للدولة والاقتصاد والسياسة بدفعة واحدة، بل بدأ الأسلوب التبليغي للقرآن بتغيير عقائد الناس وأفكارهم أولاً، لأن المجتمع

الذي انطلق فيه البلاغ كان مجتمعاً وثنياً مشركاً، فكان لابد له من توحيد العقيدة وتوجيهها نحو المحدود الحقيقي أولاً، ثم راح البلاغ يضع للناس القوانين والتعاليم التي تنظم الفرد والمجتمع ثانياً، وذلك لأن الانسان يسهل عليه أن يغير فكرة سبق أن أمن بها، وأن يقتنع بفكرة جديدة قام الدليل على رجمانها، في حين يعسر عليه ويشق أن يغير تعاملاً سلوكياً سار عليه واعتاده، ويمكن معرفة هذا الأسلوب، من تدبير طبيعة الآيات التي نزلت في مكة، كسورة الأخلاص التي تبدأ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) وسورة الكافرون (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) يتبرأ فيها النبي من كل ما يعبدونه من الشرك والأوثان ويعلن رفضه القاطع لها، وسورة العصر (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ إلا الذين آمنوا...) وهكذا كثير من السور المكية التي نزلت في مكة لتصحيح عقائد الناس وتوجيهها نحو الخالق المطلق، أما الآيات التي نزلت بعد الهجرة وفي المدينة المنورة فإن طابعها كان تشريعياً في أكثر الأحيان، كما في سورة الأنفال والتوبة وآل عمران والنساء والمائدة وغيرها من السور المدنية فالآية المباركة تقول ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جيوبِهِنَّ...)) (النور، ٣٠، ٣١) فهي تبين تشريع الحجاب وحدوده وكذلك الآية المباركة التي تقول: ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السبيل...)) (الشعراء، ٢١٤) فإنها تقرر حكم الخمس سواء كان في الغنيمة أم في الأموال الشخصية، حسب ما يذهب إليه علماء الشيعة، وهكذا كثير من آيات السور المدنية التي تحمل طابعاً تشريعياً وتقنيناً ينظم حياة المجتمع الإسلامي، فجاء هذا النمط من الأسلوب في التبليغ بعد أن أصبح للإسلام مركزاً قوياً وسلطة تنفيذية تتمتع بصلاحية القرار والمؤاخذة عليه، فكان له بالغ الأثر في تنفيذ وقبول مادة التبليغ التي دلت عليه الآيات المباركات.

:التدرج في منهج وطريقة التبليغ في القرآن:٤-١-٢

لقد جاء البلاغ الألهي بالرسالة الإسلامية للناس بشكل تدريجي، وقد باشر الرسول (ص) أولى خطواته التبليغية بعشيرته الأقربين بعد أن جاء النداء ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) ثم اتسع نطاق البلاغ ليشمل شبه الجزيرة ومن حولها كما في قوله تعالى: ((لتنذر أم الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَها)) (فصلت، ٣) حتى إذا ما قوي البلاغ واستحكم في هذه المناطق وجمع من الأنصار ما فيه الكفاية جاءت المرحلة للإعلان العالمي بقوله تعالى: ((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الْمُشْرِكِينَ)) (الحجر،٩٤) عندها أخذ رسول الله (ص) يبلغ ويخاطب الملوك والرؤساء في العالم، يعرض عليهم الاسلام باعتباره رسول الله إلى الناس جميعاً كما أيد ذلك القرآن الكريم بقوله ((وما أرسلناك إلا كافة الناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر النَّاسِ لا يعلمون)) (سبأ، ٢٨)، وكذلك الآية المباركة: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) (الأنبياء، ١٠٧)، وقد

جاء في تفسير الأمثل في تفسير الآية المباركة ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) (الشعراء، ٢١٤) قال: (إن الاسلام بدأ بالانتشار تدريجياً، ففي البداية أمر النبي (ص) بإنذار المقربين إليه كي تتقوى قاعدة الإسلام وتتصلب نواته، ويكون أكثر قدرة واستعداداً للانتشار، ثم جاءت المرحلة الثانية المتمثلة بأنذار العرب، كما ورد في قوله تعالى ((قرآناً عَرَبيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) (الزخرف،٤٤) وكذلك قوله تعالى ((وَإِنهُ لَذِكْرٌ لك ولقومك...)) وعندما ترسخت أعمدة الإسلام بين هؤلاء القوم وقوي عوده أمر رسول الله (ص) بأوسع من ذلك أن ينذر العالم والناس كافة.

كما نقرأ في أول سورة الفرقان قوله تعالى ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نذيراً)) (الفرقان، ١)

وبسبب هذا التكليف قام رسول الله (ص) بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم خارج الجزيرة العربية، ودعا كسرى وقيصر والنجاشي وغيره إلى الإسلام، ووفق هذه التعليمات، قام أتباعه من بعده بالدعوة إلى الاسلام في مختلف بقاع العالم ونشروا تعاليم الإسلام في جميع أرجاء المعمورة.

ومن خلال ذلك، تستطيع أن نفهم الطريقة العملية الصحيحة للتبليغ الرسالي التي يجب فيها على المبلغين الحاملين رسالة الإسلام أن يسلكوا نفس الطريقة التي نزل فيها البلاغ الألهي والتي سلكها الرسول (ص) في عملية نشر دعوته (ص) وهو أن يتدرجوا في إيصال الحقائق إلى الناس والتبليغ عنها، كل بحسبه مع مراعاة الزمان والمكان وقابلية الناس في الأخذ والعطاء، دون اللجوء إلى طريقة إفراغ الكلام وصبه في ظرف لا يسع مظروفه، وحينئذ لا جدوى من هذا البلاغ إلا الصد والمنع وعدم الاقبال من الآخرين.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أشير إلى حقيقة ثابتة وهي أن طبيعة الرسالة الإسلامية كانت منذ البداية

وبالأصل (للناس جميعا) إلى يوم القيامة، وأن التدرج إنما وقع في مباشرة الرسالة وطريقة التبليغ كانت تمر عبر مراحل، وذلك كطريقة طبيعية ومضمونة النجاح، وليس الأمر كما يدعيه بعض المستشرقين من افتراءات حول الرسول وبشرية الرسالة الاسلامية حيث يقول أحمد مفكريهم (ميور)

إن فكرة عموم الرسالة جاءت فيما بعد، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها، لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض أنه فكر فيها، فقد كان تفكيره غامضاً، فإن علمه الذي كان فيه إنما كان بلاد العرب، وأن محمداً لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب دون غيرهم)، وقد رد السيد قطب على هذه الفكرة في تفسيره قائلا: ليس المقصود – من هذه الآية – كما يتصيده أعداء الإسلام من المستشرفين أن تقتصر الدعوة على أهل مكة ومن حولها، فهم يقتطعون هذه الآية من القرآن كله ليزعموا أن محمداً....

ثم يردهم بعنف قائلاً: وكذبوا... ففي القرآن المكي وفي أوائل الدعوة قال تعالي الرسول الله (ص) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء،١٠٧) و (وما أرسلناك إلا كافة للناس...) (سبأ، ٢٨)

ولعل الدعوة يومذاك كانت محصورة في شعاب مكة يحيطها الكرب والابتلاء. وهذا يبين البعد العالمي للرسالة الإسلامية منذ انطلاقتها الأولى، ولكن التدرج في أسلوب نشر الرسالة هو الذي أوقع الآخرين من أمثال هؤلاء للخلط بين أصل الفكرة وطريقة تبليغها.

التدرج في أسلوب التبليغ :

تحدثنا في الفقرة السابقة عن طبقة الاعلان ونشر الدعوة، حيث اتخذ المرحلية في إعلانه، أما في هذه الفقرة فنريد أن نتحدث عن الأسلوب الذي انتهجه الرسول (س) للإعلان عن الرسالة الإسلامية، وقد انتهج الرسول (ص) أسلوباً حكيماً خاضعاً لخطة مدروسة مبرمجة من قبل الباري عز وجل، وقد تمثل بعدة مراحل منها :(اللين الارشاد والموعظة، المواقف السلبية والمقاطعات السلمية والمعاهدات،

الجهاد وحمل السلاح).

اللين والإرشاد :

ففي المرحلة الأولى، نرى أن الرسول (ص) بدأ التبليغ والاعلان عن الدعوة الإسلامية بأسلوب هادي ورصين يحمل طابع الود والرحمة والحنان، وهذا ما تصوره الآية المباركة بقوله تعالى: ((فبما رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك...)) (آل عمران،١٥٩). فبين سبحانه مدى أهمية الأسلوب الذي يتخذه الرسول في طريقة التبليغ حيث ينبغي أن يتصف باللين و الرحمة وعدم الغلظة أو الشدة في طرح الفكرة، لأنها دعوة إلى الهداية، فلابد لها من أن تأخذ مجراها بهدوء، فالشدة والصرامة لا تترك مجالاً للقلب الرؤية الواقع والحقيقة التي تحتاج نوعاً ما إلى التأمل والبصيرة دون التقليد الأعمى ورصانة الأسلوب وهدوئه واتسامه بالصفح والرحمة والاحسان، يؤدي إلى قبول الفكرة بإذعان مع كسب الأنصار، وقد أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يتلقى المسلمين الجدد بصدر رحب ووجه طلق حيث قال تعالى: ((وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...)) (الانعام، ٥٤) وقال سبحانه: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)) (الحجر، ٨٨).

وقد كان لخلق النبي (ص) وتعامله وسلوكه مع الناس بالإضافة إلى شخصيته الفريدة، الأثر الكبير في استقطاب الكثير من الموالين واجتذاب عامة الناس، وكان قدوة فذة في الأخلاق والنيل والشرف، حتى منحه القرآن الكريم قائلاً: ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم،٤) وقد شهدت كتب التراجم والسير، سيرته الفذة في السخاء والجود والرحمة واللين فها هو

وصيه وأخوه وخليفته أمير المؤمنين (ع) يصفه قائلاً: ((كان أجود الناس كفاً وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، والينهم عريكة وأكرمهم عشيرة) (ابن سعد، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ج١، ص٤١١-٤١٢)

وقد شهد له القرآن الكريم باللين والرحمة حيث قال تعالى : ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)) (التوبة، ١٢٨)، وكذلك ما ذكر صاحب كتاب (المعرفة والتاريخ) في وصفه وتعامله الاجتماعي، أنه كان يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا في الحق عنده سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع عنده الأصوات... وكان سهل الخلق لين الجانب.... يتغافل عما لا يشتهي لا يتم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته، وكان أحسن الناس وأسخاهم وأشجعهم)) (جعفريان، ١٤٢٨ هـ، ص٣٦٠).

وكان لأسلوب والرفق بالغ الأثر في استقطاب النفوس والتأثير فيها وهذا الأسلوب يرسم للمبلغين الحاملين رسالة الإسلام أن يتخذوا منهم منطلقاً في عمليتهم التبليغية ويمهد فيه الطريق لاستقطاب الناس بالقول الحسن والموعظة والارشاد.

المواقف السلبية والمقاطعات السلمية :

قد يتخذ المنهج التبليغي، اسلوباً آخر في العملية التبليغية، يختلف كثيراً عن الأول، فيه نوع من الاصرار والشدة وعدم التهاون واللين، بل العزم والارادة، ولكن لم يكن ذلك بالشكل الذي يؤدي الى الاصطدام والنزاع، بل قد يتخذ من اسلوب الهدنة وابرام المعاهدات، كمرحلة لتقوية شوكة الاسلام ولتذليل النفوس المتعنتة والكف عن اذاها.وقد سلك الرسول (ص) في تبليغ رسالته الى العالم هذا الاسلوب من ابرام المعاهدات، أي العقد الذي كان يبرمه (ص) مع اهل الحرب على الكف عن القتال مدة يعوض وبغير عوض، لتعرف كل دولة مالها، وما عليها، حتى يعيش المجتمع الدولي جميعاً في ربيع العصمة الدماء والاعراض والأموال الأوطان حتى لا تبغي دولة على أخرى.

وقد شهد التاريخ الإسلامي بهذه المعاهدات تصلح الحديبية وغيرة، وقد وضعت المعاهدات في الإسلام أصول و بنود تعرض على كل طرف الالتزام بها منها وجوب الوفاء بالهد، حيث قال تعالى : ((وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً)) (الاسراء، ٣٤) وقد التزم النبي (ص) بالعهد في اقصى الظروف التي مرت به وبأصحابه، كما في صلح الحديبية وقولة لأبي رافع حين بعثته قريش إلى النبي (ص) ووقع في قلبة الإسلام فأراد عدم الرجوع، فقال يا رسول الله : الا أرجع اليهم فقال (ص) : (إني لا أخيس بالعهد لا أحبس البر وأرجع اليهم فأن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع) (أبن حنبل، ١٩٩١ م،ج٩،ص٢٢٧)

وقد كان للمواقف العظيمة التي اتخذها الرسول (ص) في اسلوبه التبليغي وتعامله مع الأطراف المعاهدة من الكفار والمشركين، الأثر العظيم في الانفتاح على الآخرين والتأثير بهم ودعوتهم إلى الإسلام ومن جانب آخر كان يؤمن حياض الاسلام والمسلمين من شر وأذى المشركين والكفار، وفيه تكون لدى المسلمين فرصة سانحة لكسب الأنصار وتقوية شوكتهم.

الجهاد وحمل السلاح :

هذا الأسلوب الثالث الذي سلكه الرسول (ص) في تبليغ دعوته إلى العالم هو حمل السلاح، ولكن على استخدم الرسول (ص) القوة والسلاح، وعلى أن الدعوة الإسلامية انتشرت بالسيف، كما يتهمنا البعض. أم أنها اسلوب عملي استخدمه الرسول (ص) بعد التدرج بالمراحل السابقة من الدعوة الهادئة والين ثم ابرام المعاهدات السلمية حيث التجأ الى اسلوب القوة ؟

نقول إن لم تكن استجابة للمرحلتين من قبول دعوة الإسلام أو عقد معاهدات الصلح فالسيل الى أمة الأمة، وعصمة بيضتها هو الذود والدفاع عن عقيدتها وأمنها ووجودها، وهو ما نصت علبة الآية الكريمة ((وقاتِلُوهُم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يُعْمَلُونَ بصير)) (الانفال،٣٩)

وقال تعالى ((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عَلَيْكُمْ واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)) (البقرة، ١٩٤)

من خلال هاتين الآيتين المباركين وغيرها من آيات القتال، يتبين لنا الأسلوب الثالث العملية التبليغ، وهو انه إذا اقتضى الأمر ولزم ركوب من الحرب، وأصبح الخيار الوحيد الذي لابد منه فان الدين لم يترك هذا الأمر لروح التشفي أو الانتقام وأهواء الأفراد، بل وضع الإسلام اسلوباً يحفظ للإنسانية. وجودها، ويعيد اليها كرامتها، فأضحى للحرب تشريعات وتعاليم وآداب يفرضها الإسلام على المسلين لا ينبغي تجاهلها والتعدي عليها، وقد كان لهذا الاسلوب بالغ الأثر في خصم النزاع وسد الثغور وتوحيد المسار نحو هدف مشترك موحد، وقد تحقق هذا في فتح مكة وما سبقه وما لحقه من فتوحات اسلامية كانت فيها الغلبة للإسلام والمسلمين.

وعلى كل حال فقد كان التدرج في العملية التبليغية بمراحلها الثلاثة الأنفة الذكر سواء التدرج في موضوع البلاغ أو طريقة إيصاله وإعلانه أو الأسلوب الذي تم من خلاله ممارسة البلاغ الألهي، بالغ الأثر في شمول الإسلام للعالم، وفتحه للقلوب قبل البلدان، ودون أية مقاومة شعبية الشكر، في أكثر البلدان التي حررها الإسلام، فقد كان لهذا الأسلوب دور مهم في هداية الناس وتنظيم حياتهم الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكان له الأثر الكامل في إقناع الناس والزامهم بالبلاغ الألهي والتسليم له، لأن عملية التدرج في إيصال البلاغ بالشكل الذي يتناسب مع الحوادث

والظروف وما يحتاج إليه الناس، يكون له قوة الزامية واضحة، باعتباره حكم الله المنزل في تلك الواقعة، فكان هذا سبب متين للأمثال والتطبيق ولهذا كان المسلمون، إذا سمعوا عشرا من الآيات يهرعون لتطبيقها ثم يعودون للاستزادة، ولو كان التبليغ دفعة واحدة لما تحقق ذلك. (العطار، ١٣٨٥ شمسي، ص١٢٥)

الفصل الخامس: أسلوب ضرب الامثال في القرآن :

من الأساليب التربوية والتثقيفية المهمة التي استعملها القرآن الكريم في التبليغ والدعوة، هو أسلوب ضرب الأمثال، وقد احتل مساحة واسعة من القرآن، وفي مواضيع متعددة، وكانت وراءه أهداف سامية منها عقائدية تهدف إلى البرهان على وجود الله تعالى، وكذلك تبرهن على البعث والحشر والحساب لمن أنكر وجود الله عز وجل وأنكر الحشر والمعاد، واهداف أخرى عامة، منها صرف الناس عن الجدل بالباطل والتذكير بسنن الأمم الماضية لأخذ العبرة والموعظة والترغيب في الجنة والعمل الصالح. وقد يكون الهدف منه هو تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به فقد يكون المثل أقرب إلى عقل الانسان وفهمه واستحضاره في النفس. التي تأنس بالنظائر والأشياء وتنفر من الشيء الغريب والوحدة وعدم النظير.

وهذه الطريقة في ضرب الأمثال في القرآن الكريم، صارت الوسيلة والأداة المفهمة لذهن السامع والتي بات يتخذها الخطباء والمبلغون وسيلة مهمة من أجل إيصال الفكرة والعبرة والحكمة لأذهان الناس مهما كانت مستوياتهم، فهي أفضل وسيلة للتأثير في النفوس وخاصة في وقتنا الحاضر، بل في كل وقت فلابد من التعرف على الأمثال القرآنية ومعرفة معانيها ومواطن استعمالها، كي نستفيد منها في أسلوب الدعوة والتبليغ الرسالي.

المثل لغة واصطلاحاً :

المثل لغة : (عبارة عن قول شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره ويدني المتوهم من المشاهد) (الطريحي، ١٩٨٥م، ج٥، ص٤٦٩)

(وإن شئت قلت هو عبارة عن المشابهة بغيره في معنى من المعاني وأنه لأبناء المتوهم من المشاهد كقوله تعالى: ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)) (البقرة، ١٧). والأمثال: جمع مثل بالتحريك وهو في الأصل بمعنى النظير، ثم استعمل في القول السائر الممثل الذي له شأن وغرابة) (الطريحي، ١٩٨٥م، ج٥، ص٤٧٢)

المثل اصطلاحا: (قسم من الحكم يرد في واقعة اقتضت وروده فيها، ثم يتداوله الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير) (الميداني، ١٤٠٦ هجري، ١٩٨٦ م، ج١، ص٩) وقد فرق بين الحكمة والأمثال، فقالوا: (الكلمة الحكيمة على قسمين: سائر منتشر بين الناس ودارج على الألسن فهو

المثل، وإلا فهي حكمة حكيمة لها قيمتها الخاصة وإن لم تكن سائرة. فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمى حكمة إذا لم يتداول، ومثلاً إذا كثر استعماله وشاع أدائه في المناسبات المختلفة) (السيحاني، ١٤٢٠ هـ، ص١٠)

ولكن المثل في القرآن لم يأت بهذا المعنى الاصطلاحي، لأن قوام الأمثال حسب هذا المعنى هو تداولها على الألسن وسريانها بين الشعوب، وهذه الميزة غير متوفرة في الآيات القرآنية بيد أن ما ذكر من معنى للمثل في القرآن الكريم،هو التمثيل القياسي الذي تعرض له علماء البلاغة في علم البيان، وهو قائم بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز... فعامة ما ورد في القرآن الكريم من الأمثال هو من قبيل التمثيل لا المثال المصطلح (السيحاني، ١٤٢٠ هـ، ١٦ -١٧)

اهداف الأمثال في القرآن الكريم :

أن دور المثال في توضيح وتفسير الغايات له أهمية كبيرة غير قابلة للإنكار ولهذا السبب لا يوجد أبي علم يستغني عن ذكر المثال الإثبات والتوضيح الحقائق وتقريب معناها إلى الأذهان وتارة ينطبق المثال مع المقصود بشكل يجعل المعاني الصعبة تنزل من السماء إلى الأرض وتكون مفهومة للجميع فيمكن أن يقال أن المثال له دور مؤثر في مختلف الأبحاث العلمية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية لذلك لم يستغن عنه القرآن في أسلوبه التبليغي التربوي، وقد كان لاستعمال الأمثال في القرآن أهدافاً وآثاراً كبيرة منها :

أولاً :المثال يجعل المسائل محسوسة أكثر

من المعلوم أن الإنسان بأنس بالمحسوسات أكثر، أما الحقائق العلمية المعقدة فهي بعيدة المنال والأمثال بما تقرب هذه الفواصل وتجعل الحقائق المعنوية محسوسة وملموسة أكثر ويكون دراكها وفهما أيسر.

ثانياً: المثال يقرب المعنى :

تارة يحتاج الانسان لإثبات مسألة منطقية أو عقلية إلى أدلة مختلفة ومع كل هذه الأدلة تبقى هناك نقاط مبهمة محيطة بها، ولكن عند ذكر مثال واضح يتسق مع الغاية، يقرب المعنى ويفرز الأدلة بشكل أفضل وأحكم

ثالثاً : المثال يزيد في درجة التصديق

مهما تكن الكليات العقلية المنطقية، فإنها لا تخلق حالة اليقين الكافية في ذهن الانسان، لأن الانسان يبحث عن اليقين من وراء المحسوسات، فالمثال يجعل من المسألة الذهنية واقعاً عينياً ويضعها في العالم الخارجي ولهذا السبب فإن له أثره في زيادة درجة تصديق المسائل وقبولها.

رابعاً : المثال يعمم المفاهيم :

كثير من البحوث العلمية بشكلها الأصلي قد يفهمها الخواص فقط ولا يستفيد منها عامة الناس ولكن عندما يصحبها المثال تكون قابلة للفهم أفضل، ويستفيد منها الناس على اختلاف مستوياتهم العلمية، ولهذا فالمثال وسيلة للتعميم الفكر والثقافة.

خامساً : المثال يخرس المعاندين :

كثير ما لا تنفع الادلة العقلية والمنطقية لإسكات الأفراد المعاندين، حيث يبقون مصرين على عنادهم وتعنتهم، ولكن عندما نصب الحديث في قالب المثال نوصد الطريق على هؤلاء، فلا يبقى معهم مجال للتبرير واختلاق الأعذار، قال تعالى: ((ولقد صرفا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)) (الكهف، ٥٤)

نماذج من الأمثال في القرآن الكريم :

هناك كثير من الأمثال التي ساقها القرآن الكريم في مواضيع شتى، قد تتفق مع مضمون الآيات السابقة وقد تخالفها، ولكن هناك وحدة انسجام بالهدف الذي يراد تحقيقه من وراء ضرب الأمثال هذه، وهو تحقيق الهداية القرآنية الناس على اختلاف تلقيهم وفهمهم وادراكهم لهذه المفاهيم القرآنية، وعند متابعتنا

للأمثال القرآنية نجد أنها تحمل كل منها مفهوماً معيناً وتعالج موضوعاً خاصاً، لذا احببنا أن نصنف هذه الأمثال حسب ما تحمله من أفكار ومفاهيم تنص عليها ومنها :

أولاً :عدم استقرار ودوام الحياة الدنيا :

هناك كثير من الآيات التي جاءت بأسلوب ضرب المثل وهي تنص وتثبت هذا المعنى لدى الناس كقوله تعالى ((إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادِرُونَ عَلَيْها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون)) (يونس،٢٤)

وقوله تعالى ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)) (الحديد، ٢٠)

وقوله تعالى : ((واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا)) (الكهف، ٤٥)

في هذه الآيات إشارة الى عدم استقرار وعدم دوام الحياة الدنيا وهذه الحقيقة صيغت ضمن مثال لطيف جميل لرفع حجب الغرور والغفلة من أمام نواظر الغافلين والطغاة والحياة الدنيوية السريعة الانقضاء والخداعة والمليئة بالزخارف فلا دوام لثرواتها ونعيمها ولا هي مكان آمن وأنها كغيث المطر سرعان ما تزول، وهنا ضرب الله مثلا بالزرع في غيث الكفار ومعناه الزراع الذين يقطعون البذور، والمعنى أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ثم لا يلبث أن يصير هشيما كان لم يكن. (القرطبي، ١٤١٥ هـ/، ١٩٩٥م، ج٩،ص ١١)

أما الهدف الذي كان وراء هذه الأمثال التي سيقت في هذا المجال هو كالآتي :

١- رفع حجب الغرور والغفلة أمام نواظر الغافلين والطغاة

٢- إرشاد الناس إلى الموعظة وعدم الركون إلى الأوهام الخادعة للحياة الدنيا وربط الانسان بواقع الحياة والموت والآخرة

٣- بيان أن حب الدنيا هو سبب الانفصال عن الآخرة وبالتالي عدم الارتقاء والوصول إلى لقاء الله تعالى من خلال طاعته.

ثانياً : المعاد

هناك بعض الآيات المسافة كالأمثال تركز على مفهوم المعاد وتثبيت هذه الحقيقة الغيبية لدى أذهان الناس وتقريبها لإدراكاتهم العقلية وضرورة الاعتقاد بالمعاد والإيمان وعدم الجحود والإنكار الله من

خلال طرح بعض الأمثلة للأمم السابقة أو الأفراد الذين اغتروا بمواقفهم ونكرانهم وماآلوا إليه لنعتبر

ونسلم الأمر الله ونؤمن بحقيقة المعاد ومن هذه الآيات قوله تعالى : بذلك

((وضرب لنا مثلا ونسي خلقة قال من يحي العظام وهي رميم)) (يس، ٧١)

قوله تعالى : ((أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه)) (البقرة، ٢٥٩)

وقوله تعالى : ((يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده)) (الأنبياء، ١٠٤).

وقد جاء في تفسير الآية ((وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه)) (يس، ٧٨) أن الإنسان أراد أن يضرب لنا مثلاً وقد نسي خلقه من نطفة ولو كان يتذكر خلقه الأول لم يضرب المثل الذي ضربه وهو قوله ((من يحي العظام وهي رميم)) (يس، ٧٩). لأنه كان يرد على نفسه ويجيب عن المثل الذي ضربه بخلقه الأول كما القنه الله تعالى لنبيه (ص) جواباً عنه وهو قوله تعالى ((ونسي خلقه)) (الطباطبائي، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م،ج١٧،ص١١٢)

أما الغرض القرآني من استعمال الأمثال في هذا المجال فيتمثل بما يلي :

١-التثبيت وتأكيد الاعتقاد بيوم المعاد والرجعة بعد الموت

٢-الهدف من الرجعة هو العدل الإلهي الذي يقتضي بإقامة الحق وزهوق الباطل ومحاسبة الظالمين الطغاة والانتقام منهم.

٣- وفاء الله تعالى بوعده للمتقين وهذا بحد ذاته كاف لتحفيز الناس ودفعهم نحو الفضيلة

ثالثاً : الإنذار:

هناك بعض الأمثال التي ضربت في القرآن الكريم محورها الإنذار منه قوله تعالى :

((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذنهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)) (البقرة، ١٩)

وقوله تعالى : ((واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون)) (يس، ١٣)

وقوله تعالى ((كمثل الذين من قبلهم ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب)) (الحشر، ١٥)، وقوله تعالى : ((وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)) (النحل، ١١٢)

أن هذه الآيات تتحدث عن تاريخ عدد من الأنبياء السابقين الذين بعثوا لهداية المشركين من عبادة الأوثان، فالغرض من ضرب المثل في بعض من هذه الآيات هو تنبيه مشركي مكة من جهة وتسلية للرسول الأكرم (ص) وفئة المؤمنين من جهة أخرى حيث كانت هذه الفئة قليلة في ذلك اليوم. (الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج١٤، ص٩١)

وأن المحور الأساسي لهذه الأمثال القرآنية هو الإنذار والتبشير وهذه الأمثال ضربها الله تعالى لعامة الناس يشير فيها إلى الرسالة الألهية وما تتبعه الدعوة الحقة من المغفرة والأجر الكريم لمن أمن واتبع الذكر وخشي الرحمن، والعذاب الأليم لمن كذب بالرسالة وحق عليه العذاب. (الطباطبائي، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م،ج١٧، ص٧٣)

أما الهدف الأساسي لضرب الأمثال في هذا الباب – الإنذار – يتلخص بما يلى :

١- ضرب المثل هو لإثارة التفكير والحذر من أن يحل بكم ما حل بالأمم السابقة والإنذار بمختلف الأساليب التي استخدمت مع الأمم السابقة للاعتبار والاتعاظ وعدم الانطلاق بالكفر والعدوان

٢- يهدف المثل القرآني أحياناً إلى إيصال الإنسان إلى ساحة الخير من خلال أثارة التهاويل في خياله من خلال شد صور الخوف في ذهنه فيستمر تحريكها مع الواقع الحي في كل زمان ومكان.

٣- التنبيه لكل من يخالف أحكام القرآن ولا يتخذ الموعظة من الذين سبقوه وخالفوا الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ((وسكتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال)) (إبراهيم، ٤٥)

رابعاً : الموعظة :

قد تكون الأمثال في هذا الباب كثيرة أذ أن الهدف الأساسي من هذه الأمثال وغيرها بصورة عامة هو الموعظة والاعتبار فهناك كثير من السور جاء فيها المثل الموعظة منها :

قوله تعالى ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (الحشر،٢١) وقوله تعالى ((ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن مِن كُلِّ مَثلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون)) (الزمر،٢٧)

وقوله تعالى ((وكلاً ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيراً)) (الفرقان ٣٩)"

وقوله تعالى ((وتلك الأمثال نضربها للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ)) (العنكبوت، ٤٩) وقوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن أَنتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ)) (الروم، ٥٨)

في هذه الآيات حث على تأمل مواعظ القرآن وبين أنه لا عذر في ترك التدبير فأنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت للمواعظ ورأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة من خشية الله تعالى بما كلف من طاعة.

ان الهدف من هذه الآيات هو تحريك النفوس والقلوب الإنسانية وخاصة عن طريق التذكير بالنهاية التي يكون عليها الإنسان. (الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٨،ص١٤٣)

أما ما ذكر من أهمية الأمثال في هذا الباب في القرآن الكريم فهي كالتالي :

١ : إن القرآن الكريم في كل مرة يكون بأسلوب يفتح العقول على مختلف جوانب العقيدة والشريعة في حركة الانسان في الحياة ليهتدوا بهداه من موقع القراءة الواعية والتفكير يشتمل عليه هذا القرآن من مواقع التذكير التي تلامس الإحساس والشعور.

٢ : تأثير الأمثال في تذليل القلوب ورقتها وانقيادها بدليل هذه الآيات الواردة.

٣: تحريك النفوس والقلوب الإنسانية عن طريق التذكير بالنهاية التي يكون عليها الإنسان

٤ : حث على إظهار الخشوع والرهبة أمام الله سبحانه وتعالى.

٥ : الابتعاد عن الغفلة عن الله سبحانه وتعالى.

خامساً : قيمة الأعمال

هناك بعض الأمثال في القرآن الكريم جاءت لتبين قيمة الأعمال التي يقدمها الإنسان سواء كانت أعماله الصالحة أم اعماله الطالحة، وتصور كذلك أعمال الكافرين وما هي قيمتها عند الله سبحانه ومدى ديمومة ذلك العمل وعدم ديمومته، من هذه الآيات قوله تعالى :

((والدين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلُ الله له نوراً له من نور)) (النور، ٣٩ – ٤٠)

وقوله تعالى : ((مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتد به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)) (إبراهيم، ١٨)

وقوله تعالى : ((أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ليس بخارج منها كذلك زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (الانعام، ١٢٢)

ضربت هذه الأمثال في الآيات الكريمة كمثال واضح وبليغ لأعمال الكفار، فأعمالهم كالرماد في الريح العاصف بحيث لا يستطيع أحد جمعه، والآيات توضح أن بعض الأعمال تكون ظاهرية وليس لها أي محتوى فيمكن أن تنموا وردة جميلة في حفنة من التراب، ولكن لا يمكن أن ينموا في الرماد حتى العلف الرديء، فأعمال الكفار غير منسجمة وموحدة على العكس من أعمال المؤمنين حيث تراها منسجمة وموحدة ومرتبطة وكل عمل يكمل العمل الآخر.

فروح التوحيد والوحدة لا يقتصر على توحيد الجماعة المؤمنة فيما بينهم، بل تنعكس حتى في أعمال الفرد المسلم. (الشيرازي ١٤٢٦ هـ/، ٢٠٠٥ م، ج٧،ص٣١٠)

ونستخلص من هذا كله مدى الأهمية لذكر هذه الأمثال في خصوص الأعمال في القرآن الكريم وتتمثل فيما يلى :

١: أن الأعمال في حد ذاتها ليست كافية من وجة نظر العقيدة الإسلامية، بل قيمة الأعمال في النية لفاعليها والقوى المحركة للأعمال داخل النفس الإنسانية فقيمة أي عمل يعتمد على نية الإنسان نفسه.

٢: تبين إن قيمة العمل لا تقوم بالربح المادي فقط أو الجاه أو جلب أنظار الناس إليه.

٣: تدعوا الإنسان للتدبر بالعمل وتحديد نيته لينطلق من القاعدة الثابتة التي جاء بها الإسلام وهي حسن النية في العمل.

٤ : إيقاظ الدوافع الخيرة في النفس وإتباع النهج القويم وبذلك تكون الحياة آمنة من الأطماع والأهواء التي تتحكم بالناس.

هذه النماذج من الأمثال، وهناك نماذج اخرى من الأمثال جاءت تنص على وهن الأنسان وضعفه وضعف العلاقات والأواصر الإنسانية عدا أواصر الإيمان والولاية الألهية أو المستمدة من هذه، وهناك أمثال تنص على بيان قاعدة الحق والباطل وكيفية التفريق بينهما ونماذج أخرى من الأمثال ضربت لبيان الأقوى خطورة اتباعه.

والأمثال في القرآن الكريم كثيرة لا يسعني هنا أن أذكرها جميعاً، فأكتفي بذكر هذه النماذج والهدف من ذكر هذا الفصل هو بيان الأسلوب القرآني في التبليغ الرسالي، فأنه استعمل اسلوب ضرب الأمثال باعتباره اسلوباً مؤثراً وحيوياً يقرب الصورة الغائبة بمثال حي يمكن ادراكه وتصوره من قبل عامة الناس.

الخاتمة :

في نهاية المطاف لابد من التأكيد على أهمية التبليغ ودوره في نشر الفكر والثقافة والعقيدة فلابد من رسم خطط وبرامج تبليغيه دقيقة ونافعة وانتهاج أساليب وطرق فنية متنوعة في عملية التبليغ يمكنها التأثير في شرائح المجتمع المتعددة ذوات النفوس والطبائع المختلفة، وقد طرح القرآن الكريم بعضاً. من هذه الأساليب واعتبرها رسالة عملية بيد المبلغ ينتهجها في حركاته، وقد عنيناها بالبحث والدراسة في فصول متقدمة فتناولنا في الفصل الأول أسلوب التبليغ بالقلم والكتابة وبينا فيه أهمية القلم وما يسطر به من ألوان الثقافات والحضارات والعلوم وما يسوقه من تقدم ورقى في حياة الأمم وقد ركز القرآن الكريم اهتمامه عليه وكان أول خطابه لرسوله الكريم بكلمة أقرأ، ثم ما تلى ذلك من أقسام بالقلم، ثم تناولنا في الفصل الثاني الشعر وأثره في التبليغ باعتبار ما للشعر من أهمية كبرى عند الناس في عصر الرسالة وفي زماننا الحالي الذي يعطى الشعر المنزلة العظمى وقد جاء القرآن ليحدد المسار بالنسبة للشعر والشعراء فيفرق ما كان مذموماً منه عن غيره، قال تعالى " والشعراء يتبعهم الغاوون"(الشعراء، ٢٢٤)

أما النوع الأول فقد استثناء من هذا الذم حيث قال تعالى :

((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)) (الشعراء، ٢٢٧) ومن هنا نستنتج ان ليس كل شعر مذموماً، بل بعض الشعر مرخص فيه بل ممدوح أما الفصل الثالث. فتناولنا فيه القصة وأثرها في التبليغ وبيان أن القصة في القرآن اتخذت طريقتان أحدهما طريقة عرض الأحداث بشكل تقريري تنقل فيه الحكاية من مرحلة إلى أخرى كما في قصة موسى (ع)، وآدم ويوسف (عليهم السلام)وباقر الأنبياء والأمم والأخرى طريقة العرض بشكل حواري واتخذ الحوار في القرآن مجالاً واسعاً سواء كان هذا الحوار من قبل الرسل والأنبياء مع قومهم أو كان من

قبل أصحاب النار وأصحاب الجنة أو أصحاب النار أنفسهم وكثير وغيرها من الحوارات القرآنية التي كان لها الأثر الأكبر في تجسيد الواقع واستقرائه بدقائقه وأدواره من خلال مفردات الحوار وإبطاله، وبينا ان الهدف من القصة في القرآن يختلف كلياً عن الهدف في القصص الأدبية والروائية اذ ليس الهدف فيه مجرد عرض للتاريخ أو تصور للمواقف من أجل إعطاء الصور الأدبية الجذابة بل الهدف في القصة القرآنية مرتبط بالدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الناس الى الحق وهدايتهم إلى الإيمان أما في الفصل الرابع فتناولنا أسلوب المرحلية والتدرج في التبليغ وبينا امتياز القرآن الكريم بأسلوبه التبليغي التدريجي الذي جاء منسجماً مع الفطرة الإنسانية ومنسجماً مع سنة التغيير في المجتمعات حيث تأبى الإكراه والتكلف وتستجيب للتدرج والتلطف واللين في التكاليف، ثم بينا بعد ذلك أن التدرج في أسلوب التبليغ وقد اتخذ الأسلوب أشكاله الثلاثة أسلوب اللين وأسلوب المعاهدات وأسلوب الجهاد والدفاع. أما الفصل الخامس فخصصناه لدراسة ضرب الأمثال في الأسلوب التبليغي وقد بينا أنه قد احتل مساحة واسعة من القرآن الكريم ولم يكن ذكره استئناسا بالمثل وتنوعاً للأسلوب بل كان وراءه أهداف سامية منها عقائدية تهدف إلى البرهان على وجود الله وتبرهن على البعث والمعاد والحشر والحساب، ومنها تربوية تهدف الى صرف الناس عن الجدل بالباطل والتذكير بسنن الأمم الماضية لأخذ العبر والموعظة والترغيب في الجنة والعمل الصالح وقد يكون الهدف من ضرب الأمثال هو تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع واحضاره في نفسه بصورة المثال وهذه الطريقة قد تكون من أفضل الطرق التي اتخذها الخطباء والمبلغون في وقتنا الحاضر وسيلة مهمة من أجل ايصال الفكرة والعبرة والحكمة لأذهان الناس مهما كانت مستوياتهم، وقد أردفنا البحث بنماذج تطبيقية من الأمثال القرآنية وذكرنا الأهداف المتوخاة من ورائها.

وبهذا نكون قد أنهينا بحثنا المختصر في هذا المجال آملين أن نكون قد وضعنا بين يدي المبلغ الرسالي بعض الوسائل التبليغية النابعة من القرآن الكريم بهدف الاستفادة منه في حركته التبليغية ومن الله نستمد التوفيق.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن أنس، مالك، الموطأ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦ هجري. ٢٠٠٨ م

٢. ابن حنبل، أحمد، المسند، دار الفكر، بيروت ط١-٢,١٩٩١ م

٣. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى دار الفكر بيروت ط١ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٤. الاصفهاني، راغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، طليعة نور، قم، ط٢، ١٤٢٧هجري

٥. البخاري، جعفر، التبليغ مناهجه وأساليبه، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ط٢، ١٤٢٨ هـ

٦. جعفريان، رسول سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٨ هجري

٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت، قم، ط١، ١٤١٢ هـ

٨. الحويزوى، عبد على بن جمعة العروس نور الثقلين اسماعيليان، قم ط ٤، ١٤١٥ هجري

٩. الزمخشرى، محمود بن عمرو الخوارزمي، تفسير الكشاف دار احياء التراث العربي، ط٢ ١٤٢١هـ . ٢٠٠١ م

١٠. السيحاني، جعفر، الأمثل في القرآن الكريم، مؤسسة الأمام الصادق، قم،ط١،١٤٢٠ هجري

١١. السيوطي جلال الدين الدر المنثور احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م

١٢. الشايب، أحمد، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣

١٣. شراد، شلتاغ عبود، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، جريدة قطوف، العدد (٢٤٧) نيسان ٢٠١١

١٤. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت،ط٢,١٤٢٢ هجري، ٢٠٠٢ م

١٥. الطبرسي،الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢ هجري، ١٩٩٢ م

١٦. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٥م

١٧. العطار، داوود، موجز علوم القرآن، ذوي القربى قم، ط٥، ١٣٨٥ شمسي

١٨. فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن، مكتبة الشهيد الصدر، قم، ط١، ١٤٠٤ هجري، ١٩٨٤ م

١٩. فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن،بيروت، دار الكتاب الإسلامي،١٤٠٥ هجري، ١٩٨٥ م

٢٠. قراءتي، محسن، القرآن والتبليغ، المؤسسة القرآنية الإسلامية للترجمة، قم، ط١، ١٤١٥-١٤١٤ هجري، ١٩٩٤-١٩٩٥ م

٢١. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لاحكام القرآن، دار الفكر بيروت، ١٤١٥ هجري، ١٩٩٥ م

٢٢. مجلة التوحيد، السنة العاشرة (١٤١٢) هجري، مقال، (الإسلام وأثره في الموضوعات الشعرية)، العدد،٥٨

٢٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، المكتبة الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٥ شمسي

٢٤. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت ١٤٢١ هجري، ٢٠٠١م

٢٥. مشكور، محمد تقي، رياض الامثال في الكتاب والسنة والادب، تحقيق صادق الروازق، منشورات الاجتهاد، قم، ط١، ١٤٢٨ هجري، ٢٠٠٧ م

٢٦. مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ١٣٨٥ شمسي

٢٧. مكارم شيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الاميرة للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هجري، ٢٠٠٥ م

٢٨. الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، النيسابوري، مجمع الامثال، الاستانة الرضوية، مشهد، ١٤٠٦ هجري، ١٩٨٦ م

Reference

The Holy Quran

1. Ibn Anas, Malik, Al-Muwatta, Dar Al-Ma'rifah, Beirut, 2nd edition, 1426 AH. 2008 AD
2. Ibn Hanbal, Ahmad, Al-Musnad, Dar Al-Fikr, Beirut, 1st-2nd edition, 1991 AD
3. Ibn Saad, Muhammad, Al-Tabaqat Al-Kubra, Dar Al-Fikr, Beirut, 1st edition, 1414 AH - 1994 AD
4. Al-Isfahani, Raghib, Vocabulary of the Words of the Holy Quran, Tali'at Noor, Qom, 2nd edition, 1427 AH
5. Al-Bukhari, Ja'far, Tabligh, its Methods and Styles, International Center for Islamic Studies, 2nd edition, 1428 AH
6. Ja'farian, Messenger of the Biography of the Master of Prophets and Messengers, Islamic Research Complex, Mashhad, 1428 AH
7. Al-Hurr Al-Amili, Muhammad bin Al-Hassan, Shiite Means to Attain Issues of Sharia, Al-Bayt Foundation, Qom, 1st edition, 1412 AH
8. Al-Huwaizawi, Abdul Ali bin Juma'a Al-Arous Noor Al-Thaqalayn Ismailian, Qom, 4th edition, 1415
9. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr Al-Khwarizmi, Interpretation of Al-Kashaf, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 2nd ed. 1421 AH - 2001 AD
10. Al-Sihani, Jaafar, Al-Amthal fi Al-Quran Al-Karim, Imam Al-Sadiq Foundation, Qom, 1st ed., 1420 AH
11. Al-Suyuti, Jalal Al-Din Al-Durr Al-Manthur, Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1421 AH 2001 AD
12. Al-Shaib, Ahmad, Al-Aslab, Al-Nahda Al-Masryia Library, 12th ed., 2003

13. Sharad, Shaltagh Abbud, The Impact of the Qur'an on Modern Arabic Poetry, Qutoof Newspaper, Issue (247) April 2011
14. Al-Tabataba'i, Muhammad Hussein, Al-Mizan fi Tafsir Al-Quran, Al-A'lami Foundation, Beirut, 2nd ed., 1422 AH, 2002 AD
15. Al-Tabarsi, Al-Fadl bin Al-Hasan, Majma' Al-Bayan In the interpretation of the Qur'an, Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1412 AH, 1992 AD
16. Al-Turahi, Fakhr al-Din, Majma' al-Bahrain, Dar and Library of Al-Hilal, Beirut, 1st ed., 1985 AD
17. Al-Attar, Dawud, Mujaz Ulum al-Quran, Dhu al-Qurba, Qom, 5th ed., 1385 AH
18. Fadlallah, Muhammad Hussein, Dialogue in the Quran, Library of Martyr al-Sadr, Qom, 1st ed., 1404 AH, 1984 AD
19. Fadlallah, Muhammad Hussein, From the Inspiration of the Quran, Beirut, Dar al-Kitab al-Islami, 1405 AH, 1985 AD
20. Qira'ati, Mohsen, The Quran and Propagation, The Islamic Quranic Foundation for Translation, Qom, 1st ed., 1414-1415 AH, 1994-1995 AD
21. Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad al-Ansari, Al-Jami' li Ahkam al-Quran, Dar al-Fikr, Beirut, 1415 AH, 1995 AD
22. Tawhid Magazine, Tenth Year (1412) AH, Article, (Islam and its impact on poetic topics), Issue 58
23. Al-Majlisi, Muhammad Baqir, Bihar al-Anwar, Islamic Library, Tehran, 2nd ed., 1365 AH
24. Al-Maraghi, Ahmad Mustafa, Al-Maraghi's Interpretation, Dar al-Fikr, Beirut 1421 AH, 2001 AD
25. Mashkoor, Muhammad Taqi, Riyad al-Amthal fi al-Kitab wa al-Sunnah wa al-Adab, edited by Sadiq al-Rawazeq, Ijtihad Publications, Qom, 1st ed., 1428 AH, 2007 AD
26. Mustafawi, Hassan, Investigation into the Words of the Holy Qur'an, Center for Publishing the Works of Allamah Mustafawi, Tehran, 1385 AH
27. Makarem Shirazi, Nasser, Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah al-Manzil, Al-Amira Printing, Beirut, 1st ed., 1426 AH, 2005 AD
28. Al-Maydani, Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim, Al-Naysaburi, Collection of Proverbs, Al-Astaneh Razavi, Mashhad, 1406 AH, 1986 AD